الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللّغة والأدب العربيّ

التخصص: لسانيات عامة

مبدأ التّأدّب بين الالتزام والخرق في رواية ضباب آخر النّهار لـ مصطفى ولد يوسف - دراسة تداوليّة -

مذكّرة مقدّمة لنيل متطلّبات الحصول على شهادة اللّيسانس

إعداد الطّالبة:

كاترين بانوح

إشراف الأستاذة:

سهام سعداوي

السّنة الجامعيّة:

2022/2021م

الإهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى من ربّياني صغيرة

إلى من يعجز القلم واللّسان من أن يفيهما حدّهما من الوصف والتّمييز،

إلى مصدر إلهامي وقوّتي في الحياة

إلى والديّ الكريمين بارك الله في عمرهما

كاترين

مقدّمة

تعدّ نظريّة التّأدّب من التّطوّرات المهمّة للتّداوليّة، فهي تعتني بالجوانب اللّغويّة الّتي ينبغي أن تكون مقبولة في السّياق التّخاطبيّ، وقد قدّم الباحثون في حقل التّداوليّة جهودا غير قليلة حول آداب التّواصل سواء ما يتعلّق بتقديم مقترحات أو نظريّات في هذا المجال، بهدف تقديم أنموذج لغويّ يمكن التّواصل به. ومن بين المبادئ الّتي تضبط مسار التّواصل نجد مبدأ التّأدّب، والّذي يُقصد به مجموعة من القواعد المتعارف عليها بين الجماعة اللّغويّة بغية الحفاظ على قدر من الانسجام أثناء التّفاعل بين المتكلّمين، ولإظهار للنّاس وجوه التّعرّف اللّائق والسّلوك المقبول. وانطلاقا ممّا سبق فرضت الإشكاليات التّالية نفسها:

- ما المقصود بالتّأدب؟ وما هي مرجعيّته؟
- ماهي المبادئ التّأديبيّة؟
- هل يتمّ الالتزام بتلك المبادئ على امتداد الحوارات؟ أم يحدث أحيانا وأن تّسقط قاعدة من قواعده؟ متى يتمّ خرق هذه القواعد؟ ماهي ضوابط الخرق ومعاييره؟

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى الرّغبة في البحث عن حركة هذه المبادئ داخل الرّواية، ما يتيح لنا فرصة التّعمّق فيها من حيث منطلقاتها ومنهجها، كما أنّ البحث في هذا الموضوع بحاجة إلى المزيد من الدّراسات على مستوى المفاهيم والإجراءات التّطبيقية.

وانسجاما مع غايات البحث طمحنا إلى تحقيق بعض الأهداف منهاأنّنا أردنا أن نصل من خلاله إلى قراءة في موضوع التّأدّب، والّذي نأمل من خلاله إلى الوصول إلى شيء من الجدّة خاصّة وأنه يطبّق على مدوّنة أدبيّة وهي الرّواية. كما أنّنا حاولنا الإجابة عن التساؤلات الّتي يفرضها الموضوع، ومن أجل تحقيق ذلك،

واستجابة لمتطلّبات البحث وطبيعته فإنّنا اعتمدنا في تحليلاتنا على المنهج التّداوليّ والّذي يتيح لنا فرصة استنطاق الرّواية واستجلاء مكامنها.

أمّا عن الدّراسات السّابقة لهذا الموضوع خاصّة المتعلّقة بالمبادئ التّأديبيّة، فهي قليلة باللّغة العربيّة- في حدود علمنا- ومن أهمّ ما كتب في هذا المجال نجد:

عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة. وقد اكتفى بالعموم بالجوانب النّظريّة، كما أنّ هذا الموضوع قد تمّ تناوله بالدّراسة في سياقات ومواضع في المراجع الخاصّة بالتّداوليّة كمرجع اللّسان والميزان لـطه عبد الرّحمن.

ولا يخلو أيّ بحث علميّ من صعوبات، ولعلّ أهمّها: صعوبة الحصول على المصادر الأصليّة الّتي طرحت فكرة التّأدّب منها: المنطق والتأدّب لروبين لاكوف.

وتمّ تقسيم البحث إلى فصلين سبقتهما المقدّمة والتّمهيد. فأمّا الفصل الأوّل قسّمناه إلى ثلاثة مباحث، تمثّل المبحث الأوّل في عرض المفهوم اللّغويّ لمصطلح التّأدّب، والمبحث الثّانيّ خصّص للحديث عن الجانب الاصطلاحي للتّأدّب، والفصل الأخير تمّ التّطرّق فيه لموضوع التّأدّب من المنظور التّداوليّ.

في حين خصّص الفصل الثّانيّ للحديث عن تجليّات مبدأ التّأدّب في رواية ضباب آخر النّهار لمصطفى ولد يوسف. كما تمّ إفراد كلّ قاعدة من قواعد هذا المبدأ بمبحث خاصّ.

في الأخير نتوجّه بالشّكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة " سهام سعداوي" والّتي كانت نعم السّند ونعم الموجّه.

تمهيد:ماهية التّداوليّة

قبل أن نعرّف التّداوليّة لابدّ أن نعرّج على هذا المصطلح، وكيف تسرّب إلى الدّراسات العربيّة. وقد أشار طه عبد الرّحمن إلى ذلك بقوله: « وقد وقع اختيارنا منذ 1970م على مصطلح " التّداوليّات" مقابلا للمصطلح الغربيّ" براغماتيقا" لأنّه يوفي المطلوب حقّه، باعتبار دلالته على معنيي" الاستعمال" و " التّفاعل" معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدّارسين الّذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم.»[1]

تسعى التّداوليّة لتجاوز حدود الخطاب لتصوير نظريّة عامّة للفعل والنّشاط الإنسانيّ شغلها الشّاغل دراسة اللّغة في المقام الّذي يهتمّ ما يفعله المستعملون للألفاظ، ولهذا نجدها تستمدّ من حقول معرفيّة عديدة منها:« الفلسفة التّحليليّة، ممثّلة في فلسفة اللّغة العادية، ومنها علم النّفس المعرفيّ ممثّلا في " نظريّة الملاءمة" théorie depertinence" على الخصوص، ومنها علوم التّواصل، ومنها اللّسانيات بطبيعة الحال.»[2] وكأيّ مصطلح يتوافد إلى الدّراسات العربيّة، نجد تعدّد ترجمات هذا المصطلح منها: التّبادليّة، النّفعيّة، الذّرائعيّة.[3] هذا من جهة، كما نجد أنّ تموقعها بين حقول معرفيّة صعّب مهمّة توحيد مصطلحها وتقديم تعريف جامع ومانع لها.

واستنادا إلى خاصيّة الاستعمال فإنّ التّداوليّة علم يهتمّ بعلاقة اللّغة بمستعمليها هدفها إرساء مبادئ الحوار في علاقته الوثيقة مع المقام الّذي ينتج فيه الكلام، وهذا يعني أنّ التّداوليّة تخصّص لسانيّ يحدّد موضوعه في المجال الاستعماليّ والإنجازيّ بما يتكلّم به المتكلّم، ويدرس كيفيّة استعمال المتكلّمين للّغة أثناء حواراتهم، كما تعتني بكيفيّة تأويل مستعملي اللّغة لتلك الأحاديث، كما تهتمّ أيضا بمنشئ الكلام(المتكلّم) وكذا السّياق الّذي ترد فيه اللّغة. وبهذا فالتّداوليّة:« هي دراسة استعمال اللّغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابيّة.»[4]

---

[1] طه عبد الرّحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط1، المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب2000. ص28.

[2] مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة " الأفعال الكلاميّة" في التّراث اللّسانيّ العربيّ، ط1، دار الطّليعة، بيروت2005. ص 16.

[3] ينظر: سعد البازعي، ميجان الرّويليّ، دليل النّاقد الأدبيّ، ط3، المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب2002. ص167.

[4] فرانسوازأرمينيكو، المقاربة التّداوليّة، ترجمة: سعيد علّوش، دط، مركز الإنماء القوميّ، دب دت. ص6.

ومن خلال هذا التّعريف يضح أنّ التّداويّة نظرية تعنى باللّغة في شقّها الاستعماليّ التّفاعليّ كما تُعنى بقدرات المتكلّم التّواصليّة. كما رصد تعريف آخر لها يؤكّد على أنّها تلك النّظريّة الّتي:« تدرس اللّغة في استعمال النّاطقين بها، ونظريّة تخاطبيّة تعالج شروط التّبليغ والتّواصل الّذي يقصد إليه النّاطقون من وراء استعمال اللّغة.»[1] هذا التّعريف يربط اللّغة بمفهوم إجرائيّ في التّداوليّة هو القصد، الّذي يساهم في استجلاء ما وراء كلام المتكلّم لحظة التّلفّظ. فالمتكلّم يقصد أكثر ممّا يقول، لهذا تمّ ربط التّداوليّة بمعنى المتكلّم. إذن من خلال مبدأ القصد في الكلام نجد أنّ التّداوليّة تتبني على إستراتيجيّة المقاصد، وذلك استنادا على معطيات تشمل:

«-معتقدات المتكلّم ومقاصده، وشخصيّته وتكوينه الثّقافيّومن يشارك في الحدث اللّغويّ.

- الوقائع الخارجيّة، ومن بينها الظّروف المكانيّة والزّمانيّة والظّواهر الاجتماعيّة المرتبطة باللّغة.

- المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، وأثر النّصّ الكلاميّ فيها.»[2]

والحديث عن التّداوليّة يعود بنا إلى أصولها الفلسفيّة مع بيرس(Peirce) وشارل موريس (Charles Morris). فأمّا بيرس فقد:« ارتبطت عنده التّداوليّة بالمنطق ثمّ السّيميوطيقا.»[3] وموريس بدوره تأثّر ببيرس من خلال تمييز العلامة على أساس الرّمز، الإشارة والأيقونة حيث كتب مقالا ميّز فيه المجالات الّتي تهتمّ بالدّليل اللّغوي سيميائيّا وهي : علم التّراكيب، علم الدّلالة والتّداوليّة. وهذه الاختصاصات الثّلاثة اصطلح عليها فيليب بلانشيه بـ: «الثّالوث الدّلائليّ.»[4]

---

[1] راضية خفيف بوبكري، التّداوليّة وتحليل الخطاب الأدبيّ، مقاربة نظريّة، مجلّة الموقف الأدبيّ، مجلّة شهريّة، العدد 399، دمشق2004. ص1.

[2] بشرى البستانيّ، التّداوليّة في البحث اللّغويّ والنّقديّ، ط1، مؤسّسة السيّاب للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، لندن2012. ص32.

[3] نعمان بوقرة، المدارس اللّسانيّة العاصرة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة 2004. ص 184.

[4] فيليب بلانشيه، التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن 2012. ص 31.

فالأوّل(علم التّراكيب) فيعنى بعلاقات العلامات اللّغويّة فيما بينها، في حين الثّانيّ(علم الدّلالة) يهتمّ بالعد الدّلاليّ للرّموز وعلاقته بما تشير إليها، أمّا الثّالث(التّداوليّة) فتهتمّ بالعلاقة بين العلامات ومستعمليها.[1]

وباستحضار المنشأ الفلسفيّ للتّداوليّة لابد لنا أن نتحدّث عن فلسفة اللّغة العاديّة الّتي خرجت من رحم الفلسفة التّحليليّة مع فريج(Frege)و راسل (Russel) وفتجنشتاين(wittegenstein). حيث تجاوزوا الدّراسات التّقليديّة للّغة الّتي تقوم على تحليل بنية اللّغة إلى ربطها بالواقع. كان لتوجّه فتجنشتاين نحو تضييق دراسة اللّغة واقتصاره على اللّغة العادية منطلقا لظهور مفاهيم عديدة استثمرها أوستين (Austin) في تحليل الأفعال الكلاميّة. وكان مفهوم اللّعبة اللّغويّة عند فتجنشتاين الحجر الأساس لذلك، ويقصد باللّعبة تلك القواعد المضبوطة الّتي تحتكم إليها اللّغة.

وبعد تأثّر أوستين بفتجنشتاين ألقى بمحاضرات على طلابه بجامعة هارفرد تمّ تجميعها بعد وفاته من طرف طلّابه في كتاب بعنوان" How to do words") وترجم إلى اللّغة العربيّة بـثلاث ترجمات منها:" كيف ننجز الأشياء بالكلام" متبوع بعنوان فرعيّ" أوستين نظرية أفعال الكلام العامّة".[2]وفي ظل هذا المعطى وانطلاقا من هذا العنوان نرى أنّ اتّجاه فتجنشتاين انبثقت منه الأطروحة الأوستينيّة حول ظاهرة الأفعال الكلاميّة.

يعدّ هذا المفهوم الأخير(الأفعال الكلاميّة) سببا في نفي موقف الفلاسفة والنّحويين من خلال وظيفة اللّغة الّتي لم تعد تصف أو تخبر كما يزعم الفلاسفة، حيث يتمّ الحكم على صدق العبارة من خلال مطابقتها للواقع إذن لا ترتبط الجمل بمعيار الصّدق والكذب، وإنما وظيفتها الأساسيّة هي إنجاز أفعال. كما نفى أيضا موقف النّحويين الّذين يقسّمون الجمل إلى إلى إثباتيّة، تعجّبيّة..إلخ[3]

---

[1] ينظر: آن روبول، جاك موشلار، التّداوليّة اليوم علم جديد للتّواصل، ترجمة: سيف الدّين دغفوس، محمّد الشّيبانيّ، ط1، المنظّمة العربيّة للتّرجمة، لبنان2003. ص 29.

[2] ينظر: جون أوستين، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنيني، دط، إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء1991.

[3] ينظر: آن روبول، جاك موشلار، القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، ترجمة: مجموعة من الأساتذة، إشراف: عز الدّين المجدوب، دط، دار سيناترا، تونس2010. ص ص 22، 56.

ويقصد بإنجاز الأفعال، تحقّق الفعل أثناء التّلفّظ به في الواقع. وأثناء عمليّة التّلفظ ننجزثلاثة أفعال هي: فعل التّلفّظ، فعل الإنجاز، فعل التّأثير. ففي نظر أوستين كلّ ملفوظ: «ينهض على نظام شكليّ دلاليّ إنجازيّ تأثيريّ.»[1]

وبتتبّع القراءات الكرونولوجية للدّراسات التّداوليّة نجد محاولات لتوسيع نظريّة أفعال الكلام من طرف جون سيرل، حيث حاول ضبط نظريّة أوستين، فجاءت تلك المحاولة في إعادة التّصنيفات الّتي اقترحها أوستين للأفعال الكلاميّة، انطلاقا من معايير التّمييز بين الأفعال الكلاميّة، وتقديم شروط الفعل الكلاميّ.

أ- تصنيف أوستين:[2]

1- الحكميّات(verdictifs): تختصّ بإصدار حكم.

2- الممارسات(exercifs): وتتعلّق بممارسة السّلطة، النّفوذ، النّصح،...إلخ

3- الوعديّات(promissifs): إلزام المتكلّم موقف أو تصرّف ما.

4- السّلوكيّات(comportatifs): تتعلّق بالسّلوك الاجتماعيّ.

5- الإيضاحيّات(expositifs): تتعلّق بتفسير وجهة نظر أو تقديم حجّة...إلخ

ب- تصنيف سيرل:[3]

1- الإخباريّات(assertifs): تضمّ مجموعة من الأفعال الّتي تندرج في الإيضاحيّات والحكميّات عند أوستين، وتدلّ الإخباريّات حسب سيرل على وصف واقعة معيّنة.

2- التّوجيهيّات(directifs): تضمّ بعض أفعال السّلوك والممارسة عند أوستين، ويقصد بهذا الصّنف من الأفعال عند سيرل بحل المخاطب على فعل أمر ما.

3- الوعديّات(Promissifs): وهي نفسها عند أوستين.

---

[1] مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، ص40.

[2]Voir : John Austin, quand dire c'est faire, édition du Seuil, France1970.pp.153-164.

[3]Voir : John searle, sens et expression(étude des actes de langage) édition Minuit, Paris1979.pp.46-60.

4- التّعبيريّات(expressifs): والغرض منها التّعبير عن الحالة النّفسيّة.

5- الإعلانيّات(déclarations): ما يميّز هذا الصّنف هو شرط تطابقها مع محتواها.

واستكمالا لموضوع الأفعال الكلاميّة يقودنا الحديث إلى التّمييز بين الفعل الكلاميّ المباشر والفعل الكلاميّ غير المباشر. وتمّ ذلك من خلال أعمال جرايس وأعمال سيرل المتأخرة في حديثه عن الإستعارة، وكذلك كيف يتحدّث المتكلّم عن شيء ليقصد به شيئا آخر. وفكرة الفعل غير المباشر كانت مصدر إلهام عند جرايس قادته إلى وضع مبدأ حواريّ سمّاه بمبدأ التّعاون؛ الّذي الغرض منه ضبط مسار الكلام بين المتكلّمين وإخضاعه لجملة من الشّروط والقواعد إن انحرف الكلام عنها صار ضمن الاستلزامات الحوارية. ثمّ جاءت جملة من الانتقادات لمبدأ التّعاون واقتراح مبادئ أخرى منها مبدأ التّأدّب رغبة في تحقيق ما تسعى إليه التّداوليّة ع طريق التّصرّف اللّائق بالكلام.

الفصل الأوّل: مفهوم التّأدّب.

المبحث الأوّل: مفهوم التّأدّب لغة و اصطلاحا.

المبحث الثّانيّ: مبدأ التّأدّب من المنظور التّداوليّ.

1- مبدأ التّأدّب عند روبين لاكوف.

2- مبدأ التّواجه عند براون وليفينسون.

3- مبدأ التّأدّب الأقصى عند ليتش.

4- مبدأ التّصديق عند طه عبد الرّحم.

المبحث الأوّل: مفهوم التّأدّبلغة واصطلاحا:

تطوّر مفهوم مبدأ التّأدّب منذ نشأته على مراحل عدّة، فأخذ معاني مختلفة حتّى استقرّ على الوضع الاصطلاحيّ التّداوليّ الحديث. ومن هنا سنحاول عرض تلك المعاني الخاصّة به من النّاحية اللّغويّة والاصطلاحيّة.

أ- لغة:

جاء في لسان العرب في مادّة (أدب):«أدّبَهُ، فتأدّبَ: علّمه. وفلان قد استأدب: بمعنى تأدّب. ويقال للبعير إذا ريض وذُلّل: أديبٌ مُودّبٌ.»[1] ويشتقّ العل " تأدّبَ" من "أدبٌ" والمفردة "أدبٌ" بمعنى الأدب الّذي يتأدّب به الأديب من النّاس وينهاهم عن المقابح.

ورد تعريف آخر له في معجم الصّحاح في مادّة (أدب):« أدبَ، أدُبَ: بالضمّ أدبا بفتحتين، فهو أديب، واستأدب أي تأدّب.»[2]

وفي معجم اللّغة العربيّة المعاصرة ورد مصطلح:« تأدّب، يتأدّب، تأدّبا فهو يتأدّب، والمفعول به متأدّب به. تأدّب الصّبيّ: مطاوع، أدّب: تهذّب، تعلّم الأدب وحسن الخلق.»[3] حيث أورد صاحب هذا المعجم مادّة (أدّب) بمعنى هذّب، فقد عرّفه من الجانب التّهذيبيّ الخلقيّ.

وفي موضع آخر ورد كالتّاليّ:« أدَب الرّجل: حسنت أخلاقه وعاداته(الفضل بالعقل والأدب ولا بالأصل والحسب).»[4]

وما يلاحظ من خلال هذا التّعريف أنّه اتّسع معنى الكلمة من الجانب التّهذيبيّ ليشمل كلّ المعارف غير الدّينيّة، الّتي ترتقي بالإنسان اجتماعيّا.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت1997.

[2] عبد القادر الرّازيّ، مختار الصّحاح، ج1، مكتبة لبنان، بيروت1986. ص 4

[3] أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، ط1، تحقيق: يوسف الشّيخ محمّد، عالم الكتب، القاهرة2008. ص 73.

[4] المصدر نفسه، ص 74.

فمن خلال التّعريفات المقدّمة نجد أنّ معنى مادّة(أدب) يتراوح بين المعنى الخلقيّ والاجتماعيّ وما يتّصل بهما من معارف وثقافة.

ب - اصطلاحا:

لقد بيّن الباحث " أحمد السّايب" أنّ مادّة "أدب" تؤدّي معنيين ممتازين أحدهما:« هذا المعنى الخلقيّ التّهذيبيّ وهو أخذ النّفس بالمرانة على الفضائل الاجتماعية والثّانيّ: هو المعنى التّعليميّ القائم على رواية الشّعر النّثر وما يتّصل بهما من نسب وخبر وأمثال...»[1]

كذلك عرّفه " جيني توماس" في كتابه " المعنى في التّفاعل مدخل إلى التّداوليّة" بقوله:« هو الرّغبة الحقيقيّة في أن نكون لطفاء مع الآخرين، وهو الدّافع الأساسيّ لسلوك الفرد اللّغويّ.»[2]

تخضع الأشياء الموجودة إلى عدد من الضّوابط والقيود الّتي تؤطّر حركيّته، فلا تخرج عن ذلك الإطار الّذي رسم لها، فمثلا إذا قام اثنان بعمل يصبو إلى هدف واحد، فلابدّ لكلّ واحد منهما احترام شروط عمله ولا يتجاوزها، وإلّا لن تحصل الفائدة، فهنا تصبح الشّروط أكثر من ضرورية، فالحجاج يفرض على المحاور أو المجادل شروطا تراعى من قبل جميع عناصر عمليّة التّخاطب وإلّا صار الخطاب أو الحوار لغوا من القول.

ومن هنا اجتهد الدّارسون في التّقعيد لهذا الفعل اللّغويّ فضبطوه بمجموعة من الضّوابط الموضوعيّة والأخلاقيّة، من بينها مبدأ التّعاون(principe de cooperation). فقد اجتهد بول غرايس(Paul Grice) مقاله " المنطق والمحادثة" (logique et conversation) في المساهمة على مستوى التّواصل باقتراحه لهذا المبدأ. وتنطلق أطروحته من فكرة مفادها أنّ المحاورة ليست مجرّد سلسلة من التّعاليق المفكّكة، بل هي ثمرة لجهود تعاون

[1] أحمد السّايب، أصول النّقد الأدبيّ، ط10، مكتبة النّهضة المصريّة، مصر 1990. ص ص 6،7.

[2] عبد الستّار الجامعيّ، مبدأ التّأدّب مبدأ خطابيّ، مجلّة الكلمة، العدد134، يونيو 2018. www.alkalimah.netتاريخ زيارة الموقع: 2022/6/9 السّاعة 17:47.

مبذولة من قبل المتكلّم والسّامع على حدّ سواء.وتقوم على استلزامات ضمنيّة تحادثيّة، وهكذا يكون الهدف محدّد بدقّة نسبيّا، وقد يبقى غامضا وضبابيّا نوعا ما حتّى يفسح المجال واسعا أمام المتحاورين. ويقول بول غرايس في هذا الصّدد:« بإمكاننا حينئذ صياغة مبدأ تقريبيّ جماليّ، سنتوقّع في الغالب احترامه من جميع المتحاورين، وأعني به، لتكن مساهمتك في المحادثة موافقة لما يتطلّبه منك ما تمّ ارتضاؤه من هذف أو جهة للمحاورة الّتي اشتركت بها.»[1]

وتفرّعت عن هذا المبدأ(التّعاون) أربع قواعد، وكلّ قاعدة تنقسم إلى عدد من القواعد الفرعيّة الخاصّة، وتسمّى القاعدة الأولى بـ: الكمّ(quantity) والقاعدة الثّانيّة بـ: الكيف(quality)، والقاعدة الثّالثة بـ: المناسبة(relevence)أمّا القاعدة الرّابعة تسمّى بـ: الطّريقة (manner).[2]

المبحث الثّانيّ: مفهوم التأدّب من المنظور التّداوليّ:

اعتبر التّداوليّون اللّغة أداة للتّطبيع الاجتماعيّ ولتمتين الرّوابط الاجتماعيّة بين الأفراد، وكان للتّفاعل الحاصل بين المتكلّمين أثناء التّخاطب بعدا مهمّا تناوله التّداوليون بالدّراسة ضمن جملة من المباحث، لعلّ من أبرزها التّأدّب، والّذي ينحصر مدلوله العامّ في مجموعة من الطّرائق المتعارف عليها داخل جماعة لغويّة، حيث يعدّ إلى جانب الأعمال اللّغويّة من أهمّ المواضيع الّتي بدأت منذ نهاية سبعينيّات القرن الماضي، وتستقطب اهتمام اللّسانيّين التّداوليّين، ثم تتحوّل شيئا فشيئا إلى حقل جديد للبحث ما فتئت الكتابات فيه تتالى، والمقاربات في إطاره تتنوّع، والمحدث يستدرك على القديم، ويفتح مجالا لدراسة التّأدّب.

---

[1] بول غرايس، المنطق والمحادثة، ترجمة: محمّد الشّيبانيّ وسيف الدّين دغفوس، مجلّة السّيميائيّات، دوريّة محكّمة تصدر عن مخبر السّيميائيّات وتحليل الخطاب، العدد1، السّنة الأولى، جامعة وهران2005. ص188.

[2] محمّد الشّيبانيّ، سيف الدّين دغفوس، المنطق والمحادثة، إطلالات على النّظريات اللّسانيّة والدّلاليّة في النّصف الثّانيّ من القرن العشرين، الجزء2، ط1، مختارات معرّبة، المجمع التّونسيّ للعلوم والآداب والفنون" بيت الحكمة"، تونس2012. ص619.

ومن هذا المنطلق نبرز الأطوار الّتي مرّت بها، وأشهر الأعلام الّذين مثّلوا محطّات مهمّة ومنعطفات حاسمة في دراسة التّأدّب.

1- مبدأ التّأدّب عند روبين لاكوف(Robin Lakoff):

كانت الانطلاقة الأولى في اعتبار مبدأ التّعاون بالرّغم من أهمّيّته قاصرا عن إدراك خصوصيّات المحادثة جميعا، حيث أنّ روبين لاكوف قد دعت إلى خرق قواعد مبدأ التّعاون باستعمال لغة التّأدّب وبلورتها من خلال انتقاء إستراتيجيّة خطابيّة تبرز مبدأ التّأدّب، والّذي يقتصر على الجانب الأخلاقيّ التّهذيبيّ، فانطلقت من هذه الفكرة، وصاغت عليها مقالها الموسوم بـ:" منطق التّأدّب"(The logic of politeness)، حيث أشارت فيه إلى أنّ:« المتخاطبين في تبادلاتهم الكلاميّة يحرصون غالبا حرصا شديدا على الالتزام بقدر كبير من الأدب والبعد عن العدوانيّة أكثر ممّا يتوخّون الوضوح.»[1]

إلى جانب ذلك بيّنت روبين لاكوف من خلال هذا المقال:« القصور والجمود الّذي طبع الدّراسات اللّغويّة في حدود الشّكل اللّغويّ، والاكتفاء به في للحكم على صحّة الجمل، واتّخاذه المعيار الوحيد، فالاقتصار على هذا المعيار وحده لا يمنح التّراكيب تفسيرا مقبولا ، وبناء على ذلك دعت إلى ضرورة الاهتمام بالسّياق بما فيه من افتراضات منطقيّة وأخرى تداوليّة.»[2]

تمثّلت صيغة هذا المبدأ في:« **لتكن مؤدّبا، لتكن واضحا.**»[3]والّذي يقتضي بأن يلتزم المتكلّم والمخاطَب بضوابط التّهذيب أكثر بما يلتزمان من ضوابط التّبليغ لتحقيق الغاية من الكلام. كما يتفرّع إلى ثلاثة قواعد رئيسيّة هي على التّواليّ:

---

[1] عبد الستّار الجامعيّ، مبدأ التّأدّب مبدأ خطابيّ، مجلّة الكلمة، العدد134، يونيو 2018. www.alkalimah.netتاريخ زيارة الموقع: 2022/6/9 السّاعة 17:47.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ،استراتيجيّات الخطاب، مقاربة تداوليّة لغويّة، ط1، دار الكتب المتّحدة، بيروت دت. ص97.

[3] المرجع نفسه، ص 99.

أ- قاعدة التّعفّف:

مقتضاها هو:« لا تفرض نفسك على المخاطب.»[1] وتوجب هذه القاعدة على المتكلّم أن يستعمل العبارات الّتي تحفظ المسافة بينه وسامعه؛ فلا يفاتحه بما يكشف عن أحوال أحدهما للآخر، مجتنبا الصّيغ الّتي تحمل دلالة وجدانيّة مثل أفعال القلوب، كما لا يجبره على فعل ما يكره، ومحترزا من استعمال عبارات الطّلب المباشرة، ولا يقتحم عليه شؤونه الخاصّة إلّا ليجعل بينه وبين السّامع مسافة من القوّة والاحترام.

ب- قاعدة التّشكيك أو التّخيير:

مفادها:« **لتجعل المخاطَب يختار بنفسه.**»[2] ومضمون هذه القاعدة يتمحور حول اجتناب المتكلّم أساليب التّقرير، ويأخذ بأساليب الاستفهام كما لو كان متشكّكا في مقاصده؛ حيث يترك للمستمع مجالا للمبادرة في اتّخاذ القرارات، وذلك حتّى يشعر هذا المستمع بأنّه أمام جملة من الإمكانيّات الخطابيّة، لا أمام إمكان واحد لا مفرّ منه، وهنا يلجأ إلى أساليب دالّة على التّخيير كأن يقول له:« ربّما ترغب في تحصيل ما في هذا الكتاب، أو يقول: قد يكون من المفيد تحصيل ما في هذا الكتاب عوض أن يقول: ينبغي تحصيل ما في هذا الكتاب.»[3] ولا يضرّه ذلك في أن يتجاهل المخاطب اعتقاده أو إرادته، إذ لا يدلّ هذا التّجاهل بالضّرورة على أن يرُدّ قول المتكلّم، ما دام هذا الأخير لم يجزم بمضمون قوله، فهذه القاعدة تعترف بمكانة المخاطَب الّذي يعدّ طرفا فاعلا فيه، كما أنّها تجنّبه الحرج في حالة تجاهل إرادة المتكلّم ورغبته.

ج- قاعدة التّودّد:

تمثّلت صيغة هذه القاعدة كالتّاليّ:« **لتظهر الودّ للمخاطب.**»[4]حيث توجب على المتكلّم أن يعامل سامعه معاملة النّدّ للنّدّ. ولا تفيد هذه المعاملة إلا إذا صدرت من

---

[1] طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقليّ،ط1، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء 1998. ص 240.

[2] المرجع نفسه، ص 241.

[3] نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ، إستراتيجيّات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، ص 100.

متكلّم أعلى مرتبة من مستمعه، أو في مرتبة متساوية بينهما. ومتى قام المتكلّم بشرط المعاملة بالمثل، مستعملا لذلك أدوات وأساليب تقوّي التّضامن في العلاقة والصّداقة الموجودة بينهما، ومن تلك الأساليب نجد: ضمير المخاطب، الاسم، الكنية، اللّقب...إلخ، والهدف منها استئناس واطمئنان المخاطَب إلى ما يبديه المتكلّم من ثقة وعناية.

ادّعت لاكوف أنّ قواعد التّأدّب كليّة في طبيعتها وعددها، بحيث تأخذ بها مختلف المجتمعات البشريّة، والاختلاف بينها يكمن فقط في ترتيب هذه القواعد وإعطاء أولويّة لقاعدة على أخرى، فلكلّ مجتمع خصائصه وتركيبته البشريّة الّتي تختلف عن مجتمع آخر، فيفضّل بعضها على بعض، ويقدّم العمل به على غيره.

➢ النّقد الموجّه لهذا المبدأ:

قُدّمت مجموعة من الانتقادات لمبدأ التّأدّب، أبرزها عدم الالتفات إلى خاصيّة التّدرّج في قوّة قواعدها:« فقاعدة التّشكيك أقوى من قاعدة التّعفّف وقاعدة التّودّد أقوى من قاعدة التّشكيك، فحين تصلح قاعدة التّودّد فقد لا تصلح قاعدة التّشكيك.»[1] فهذه القواعد تتفاوت فيما بينها حسب درجة قوّتها، فكلّ هذه القواعد لا تعكس كلّ الشّروط المطلوبة للتّواصل اللّغويّ، وكذا إهمالها الجانب العمليّ للتّواصل.

تجدر الإشارة إلى أنّ كلّ مبدأ ينقد مبدأ آخر ويأتي ليكمّله، فمبدأ التّأدب مثلا جاء كنقد لمبدأ التّعاون، والمبادئ الّتي تليه تقوم نتيجة قصور المبادئ السّابقة. ومن تلك المبادئ نجد:

2- مبدأ التّواجه عند براون وليفينسون:

ويرجع الفضل في وضع وتأسيس هذا المبدأ في المجال التّداوليّ إلى كلّ من بينلوب براون(Penelope Broun) وستيفن ليفنسون(Stephene Levinson) في بحثهما

[1] سميّة عامر، الاستلزام الحواريّ عند بول غرايس، المفهوم والمقوّمات، مجلّة القارئ للدّراسات الأدبيّة والنّقديّة واللّغويّة، المجلّد 2، العدد3، 2019. ص29.

المشترك، والموسوم بـ: الكلّيّات في الاستعمال اللّغوي ظاهرة التّأدّب(Universals inlanguageuse. Politenessphenomena)[1]

لقد حاولا أن يصوغا من خلاله بعض القواعد العامّة لضبط ظاهرة التّأدب، وقد عُدّ ذلك من أفضل النّظريّات التّداوليّة، وأكثرها أثرا. وقد صاغ طه عبد الرّحمن عبارة تحفظ وجه الإنسان كالتّاليّ:« لتصن وجه غيرك.»[2]

يقوم مبدأ التّواجه على مفهومين متضادّين أولهما الوجه: وهو عبارة عن الذّات الّتي يدّعيها المرء لنفسه، والّتي يريد أن تتحدّد فيها قيمته الاجتماعيّة. وهو على ضربين: وجه دافع أو سلبيّ، ووجه جالب أو إيجابيّ. أمّا الوجه الدّافع فيقصد به رغبة المتكلّم ألّا يعترض الآخرون على أفعاله، وتصرّفاته، في حين أنّ الوجه الجالب فهو رغبة المتكلّم في جلب اعتراف الغير بأفعاله، فإن غاب أحدهما حضر الآخر بطيعة الحال.

يسعى المتكلّم والمستمع إلى حفظ ماء وجهيهما، ولا تتمّ هذه العمليّة إلّا إذا تمّ حفظ ماء وجه الآخر، وذلك بسبب طبيعة الإنسان الّتي تقابل الإساءة بأختها والإحسان بالمثل. وبهذا يزول الإشكال المتبادر من قوّة هذا المبدأ إلى:« صيانة وجه الآخر دون صيانة الأنا.»[3]

وهناك مفهوم آخر يتّكئ عليه هذا المبدأ وهو التّهديد، إذ يرتبط بالأفعال اللّغويّة ودرجة تهديدها للوجه، وذلك بعد أن تبيّن لهما أن بعضها يهدّد الوجه فعلا، خاصّة الّتي تساعد المتكلّم والمستمع في جلب الاعتراف ودفع الاعتراض المصحوبين بالاحترام أي الصّيانة. ويمكن تصنيف هذا كل من المرسل والمرسل إليه كما يلي:

[1] عمر بوقمرة، قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرّحمن، دراسة نقديّة، مجلّة أمارات في اللّغة العربيّة والأدب والنّقد، العدد 2، المجلّد 5، الجزائر2021. ص 49.

[2] طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان، أو التّكوثر العقليّ، ص 243.

[3] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

أ- المرسل:

من الأفعال الّتي تهدّد وجهه الدّافع نجد: الشّكر، قبول الشّكر من المرسل إليه، واعتذاراته وعروضه والوفاء بوعده. ومن الأفعال الّتي تهدّد وجهه الجالب:« الاعتذار، الإقرار، النّدم، النّقد الذّاتيّ والإهانة الذّاتيّة.»[1] خاصّة بالنّسبة لمن يحوزون على مكانة مرموقة في المجتمع ويودّون الحفاظ عليها.

ب- المرسل إليه:

من الأفعال الّتي تهدّد وجهه الدّافع: الأوامر خاصّة منها العنيفة الّتي تتطلّب من المرسل إليه القيام بها في المستقبل:«كالنّصح، التّنكير، التّحذير، الوعي، العرض، القسم.»[2] لأنها تسبّب إحراجا في حالتي القبول أو الرّفض، وكذلك التّهنئة و الحسد لأنّه يعبّر عن طمع المرسل فيه. ومن الأفعال الّتي تهدّد الوجه الجالب: النّدم السّخريّة والتّعرّض لكلامه قبل فهم المراد منه. ولمّا كان همّ هذا المبدأ جعل التّهديد هو الميزة الأساسيّة للأقوال كان لابدّ من وضع إستراتيجيّات وخطط تخاطبيّة من أجل التّخفيف والتّقليل من حدّته، وهذا ما فعله براون وليفينسون حيث وضعا خمس قواعد بين يديّ المتكلّم ليختار ما يراه مناسبا لأقواله الحاملة للتّهديد، وهي:

«1- الامتناع عن التّلفّظ بالقول المهدّد.

2- التّصريح بقول المهدّد دون أيّ تعديل.

3- التّصريح بالقول المهدّد مع تعديل يمنعه من إلحاق الضّرر بالوجه الجالب للسّامع.

[1] آمنة بلّعلى، المنطق التّداوليّ عند طه عبد الرّحمن وتطبيقاته، مجلّة اللّغة والأدب، العدد1، المجلّد 11، الجزائر2006. ص 228.

[2] أحمد شكيب بكري، التّداوليّة في الدّرس اللّسانيّ، مجلّة الأثر، العدد 32، ديسمبر 2019. ص16.

4- أن يلمّح بالقول عن طريق التعريض معطيات للمستمع تخيير أحد المعاني المحتملة؛ والتّلميح هو أن يشير المتكلّم أثناء كلامه...»[1] ويمكن أن يساوي التّلميح الإشارة البعيدة(الإشارة من بعيد).

وكما قلنا سابقا أنّ للمتكلّم الحريّة في اختيار إحدى القواعد، ولكن ذلك لا يكون جزافا، بل حسب ثلاثة قوانين سياقيّة وهي:

«1- العلاقة الاجتماعيّة بين المتخاطبين من قرب أو من بعد.

2- علاقة السّلطة بينهما من تقارب وتفاوت.

3- القيود الثّقافيّة الّتي تفرضها بيئة المجتمع في مثل الحالات والموضوعات.»[2]

اقترح براون وليفينسون بعضا من الإستراتيجيّات المناسبة الّتي تضمن التّواصل والتّفاعل وحفظ الوجه وتساعد في التّقليص من نسبة التّهديد، وهي كالتّاليّ:

«1- الإستراتيجيّات الصّريحة.

2- إستراتيجيّات التّأدّب الإيجابيّ.

3- إستراتيجيّات التّأدّب السلبيّ.

4- إستراتيجيّات التّلميح؛ الطّريقة الّتي يعبّر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفيّ.

5- إستراتيجيّة الصّمت.»[3]

[1] عماد شعير،مبدأ التّأدّب في خطاب الرّئيس المصريّ محمّد أنور السادات في الكنيست الإسرائيليّ، مجلّة الخطاب، العدد 1، 2020. ص250.

[2] عمر بوقمرة، قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرّحمن، دراسة نقديّة، ص50.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ، إستراتيجيّات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، ص 103.

➢ **النّقد الموجّه لمبدأ التّواجه:**

هذا المبدأ كغيره لم يسلم من الانتقادات بالرّغم من محاولة ممثّليه إدراك النّقص الموجود في مبدأ التّأدّب، ومن تلك الانتقادات:« إنزال وصف التّهديد على جميع الأقوال.»[1] حيث تصبح كلّ الأقوال الواردة معرضة للتّهديد وتحمله في طيّاتها. ومن جهة أخرى جعل العمل التّهذيبيّ مقصور على التّقليل من التّهديد، واهتمامه بالبعد التّقريبيّ من العمل التّهذيبيّ، أي لا يطلب التّقرّب من الآخرين وتحقيق الألفة، بقدر ما يبذل الجهد في البعد عن التّهديد، وهنا يجري الحديث عن:«تضييق مجال العمل المقوّم للتّهذيب وحصره في وظيفة التّقليل من حدّة تهديد الأقوال.»[2]

3- مبدأ التّأدّب الأقصى عند ليتش:

لقد أورد ليتش(Leech) في كتابه " مبادئ التّداوليّات" مبدأ التّأدّب الأقصى أو مبدأ اللّطف، وهو مبدأ مكتمل ومتّصل بمبدأ التّعاون لغرايس، حيث أورد بعض المعطيات والقواعد وعدّها في ستّ ثنائيّات، كما صاغ هذا المبدأ في صورتين:

«أ- **سلبيّة**: قلّل من الكلام غير المؤدب.

ب- **إيجابيّة**:أكثر من الكلام المؤدّب.»[3]

وتتفرّع عن هذا المبدأ ستّ قواعد هي:

«1- **قاعدة اللّباقة**: ولها صورتان:

أ- قلّل من خسارة الغير.

ب- أكثر من ربح الغير.

2- **قاعدة السّخاء**:ولها صورتان:

[1] سميّة عامر، الاستلزام الحواريّ عند بول غرايس، المفهوم والمقوّمات، ص31.

[2] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّصّ، دط، عالم المعرفة،الكويت1990. ص98.

أ- قلّل من ربح الغير.

ب- أكثر من ربح الغير.

3- **قاعدة الاستحسان**: ولها صورتان:

أ- قلّل من ذمّ الغير.

ب- أكثر من مدح الغير.

4- **قاعدة التّواضع**:ولها صورتان:

أ- قلّل من مدح الذّات.»[1]

«ب- أكثر من ذمّ الذّات.

5- **قاعدة الاتّفاق**: ولها صورتان:

أ- قلّل من اختلاف الذّات مع الغير.

ب- أكثر من اتّفاق الذّات مع الغير.

6- **قاعدة التّعاطف**:ولها صورتان:

أ- قلّل من تنافر الذّات مع الغير.

ب- أكثر من تعاطف الذّات مع الغير.»[2]

على الرّغم من إقرار ليتش بأهمّيّة مبدأ التّعاون، إلّا أنّه حاول استدراك ما فاته في نظره، والمتمثّل في إغفاله الجوانب الاجتماعيّة والأخلاقيّة والنّفسيّة للتّداول، ممّاجعلمبدأ التّأدّب ضروريّا وأساسيّا للتّعاون وتنظيم العلاقات، وإلّا تقطّعت عن التّواصل بين النّاس، لأنّ مبدأ التّأدّب:« لا يقف عند تنظيم العلاقات فحسب بل يتجاوز إلى تأسيس

[1] طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقليّ، ص ص 246، 247.

[2] المرجع نفسه، ص247.

الصّداقات.»[1] وهذا يعني في نظره معارضة لتلك المبادئ وترجيح مبدأ التّأدّب الأقصى، وذلك حفاظا على الصّلات الاجتماعيّة.

➢ النّقد الموجّه لمبدأ التّأدّب الأقصى:

نلاحظ من خلال صياغة ليتش لهذا المبدأ في ستّ قواعد، وقاعدة اللّباقة هي مقام لكلّ قواعده، ومقام لقواعد التّأدّب للايكوف، والّتي فحواها:«كلّ ما كان مؤدّبا ومهذّبا بالنّسبة للمتكلّم، فهو ليس كذلك بالنّسبة للمخاطب.»[2] بحيث أنّ التّأدّب يجب أن ينتفع به كلا الطّرفين، المتكلّم والمخاطب معا، بينما هو ركّز فقط على المخاطب دون المتكلّم. كما يقوم مفهوم الرّبح والخسارة على:« الفائدة الّتي تدرّها على صاحبها أو الخسارة الّتي تلحقها به.»[3]

4- مبدأ التّصديق عند طه عبد الرّحمن:

لقد قام طه عبد الرّحمن بنقد المبادئ الحواريّة المذكورة سابقا، واقترح مبدأ جديدا أطلق عليه اسم" **مبدأ التّصديق**" وقد صاغه في عبارة:« لا تقل للغير قولا لا يصدّقه فعلك.»[4] حيث أشار إلى أنّ هذا المبدأ راسخ في التّراث الإسلاميّ متّخذا صورا مختلفة منها:« مطابقة القول للفعل وتصديق العمل للكلام.»[5] وينبني هذا المبدأ على عنصرين أساسيين هما: نقل القول والّذي يتعلّق بالجانب التّبليغيّ من المخاطبة وتطبيق القول الّذي يتعلّق بالجانب التّهذيبيّ. وتتفرّع عن مبدأ التّصديق في جانبه التّبليغيّ قواعد مضبوطة نجدها مجتمعة ومفصّلة في كتاب:أدب الدّنيا والدّين للماورديّ.[6] وقد جاءت تلك القواعد كالتّاليّ:

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري، إستراتيجيّات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، ص 97.

[2] عمر بوقمرة، قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرّحمن، ص53.

[3] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان، ص 249.

[5] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[6] ينظر: الماورديّ أبو حسن، أدب الدّنيا والدّين، تحقيق: مصطفى السّقا، ط1، دار الفكر، القاهرة دت. ص ص 266، 270.

«-ينبغي للكلام أن يكون لداع يدعو إليه إمّا في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.

- ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته.

- ينبغي أن يأتي المتكلّم به في موضعه ويتوخّى به إصابة فرصته.

- يجب أن يتغيّر اللّفظ الّذي يتكلّم به.»[1]

قام طه عبد الرّحمن بربط هذه القواعد، وقواعد المحدثين فذكر أنّ القاعدة الأولى تقوم مقام مبدأ التّعاون، والقاعدة الثّانيّة تنزل منزلة قاعدة العلاقة، والقاعدة الثّالثة تنزل منزلة قاعدة الجهة أمّا القاعدة الرّابعة تقوم مقام قاعدة الكمّ. وكما نلاحظ هذه القواعد الأربعة هي القواعد المتفرّعة عن مبدأ التّعاون. كما ذكر أيضا قواعد أخرى تتفرّع إلى عن التّصديق وهي ما أطلق عليها:« قواعد التّعامل.»[2] وتتعلّق بالجانب التّهذيبيّ لمبدأ التّصديق، القواعد من نتائج استقرائه لكتب التّراث الإسلاميّ منها كتاب:« إحياء علوم الدّين.»[3] وتتمثّل هذه القواعد في:

«أ-**قاعدة الصّدق**:

- لتكن صادقا فيما تنقله لغيرك.

ب- قاعدة القصد:

- لتتفقّدقصدك في كلّ قول تلقي به إلى الغير.

ج- قاعدة الإخلاص:

- لتكن في تودّدك للغير متجرّدا عن أغراضك.»[4]

---

[1] عبد الباقي كريمة، الاستلزام الحواريّ في الحديث النّبويّ الشّريف، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربيّ،تخصّص لسانيّات وتحليل الخطاب، جامعة عبد الحميد بن باديس، قسم الدّراسات اللّغويّة، مستغانم2017/2016.ص ص 65،66.

[2] طه عبد الرّحمن اللّسان والميزان أو التّكوثر العقليّ، ص250.

[3] الغزاليّ، إحياء علوم الدّين، ط1، دار الفكر، ص ص 2696، 2746.

[4] طه عبد الرّحمن، المرجع نفسه، ص 250.

كما أشار أيضا إلى أنّ هذه القواعد التّهذيبيّة تتضمّن ما تقرّر في قواعد التّأدّب والتّواجه مع احترازها من الوقوع فيما وقعت فيه من قصور، فقاعدة القصد يترتّب عليها أمران أساسيّان هما:[1]

1- وصل المستوى التّبليغيّ بالمستوى التّهذيبيّ للمخاطبة:

إنّ المتكلّم متى تبيّن حقيقة قصده من قوله، أثمر هذا التّبيّن نتيجتين تقوم إحداهما على تعيين وظيفة العمليّة، حيث تقوم النّتيجة الثّانية بصيانة قوله من اللّغو، وهنا يتّضح لنا جليّا أنّ النتيجة الأولى متعلّقة بالجانب التّهذيبيّ أمّا الثّانية فمتعلّقة بالجانب التّبليغيّ.

2- إمكان الخروج عن الدّلالة الظاهرة للقول:

إذا كان التّعويل على القصد جاز أن يتفاوت القول مع مضمونه، فيحتاج المخاطب إلى الدّخول في العمل وتحمّل المسؤوليّة. المراد من القول كما يتحمّله المتكلّم في تفقّده لمقصده، نظرا لكون المتكلّم قد بلغه إليه عن طريق التّلميح لا عن طريق التّصريح.

ومن خلال هذه المقطع الأخير يتّضح لنا أنّ قاعدة القصد تأخذ بعنصر العمل من الجانب التّهذيبيّ سواء أكان من جهة المخاطبَ أو المتكلّم، فتكون بذلك متميّزة على مبدأ التّأدّب لـ" لاكوف".

أمّا قاعدة الصّدق فتقضي بممارسة الصّدق في مستويات ثلاثة وهي:[2]

«أ- الصّدق في الخبر.

ب- الصّدق في العمل.

[1] عمر بلخير، مقاصد الكلام وإستراتيجيّات الخطاب، أشغال الملتقى الدّوليّ الرّابع، العدد خاصّ، ج2، ص 245.

[2] مصطفى العادل، نقد الحداثة الغربيّة عند طه عبد الرّحمن من النّقد الفلسفيّ إلى النّقد اللّسانيّ، العددان 8، 9، شتاء وربيع 2020. ص28.

ج- مطابقة القول للفعل.»[1]

ويترتّب عن هذه الأصناف أفضليات هي:

«1- أن يفعل المتكلّم ما لم يقل أفضل من أن يقول ما لم يفعل.

2- أن يسبق فعل المتكلّم قوله أفضل من أن يسبق قوله فعله.

3- أن يكون المتكلّم أعمل بما يقول أفضل له من أن يكون غيره أعمل به.»[2]

أمّا قاعدة الإخلاص فتقتضي بأن يقوم المتكلّم بتسبيق حقوق مخاطبه على حقوقه هو، وتتبني هذه الحقوق على التّجرّد المتبادل عن أسباب التّنازع كالأغراض وغيرها، كما أنّها تتبني على التّأدّب المتبادل، ويتجلّى التّبادل في التّأدّب واستعداد كلّ منهما لأن ينسب إلى الآخر الوصفين التّاليين:

«-أنّه أكبر قدرة على الانفكاك عن موانع التّقرّب.

- أنّه أكثر اتّباعا للمعايير الأخلاقيّة.»[3]

تخضع هذه المبادئ إلى ترتيب تفاضليّ على الرّغم من أنّ هدفها واحد، حيث تسعى إلى ترقية سلوك الإنسان، ويتحقّق ذلك انطلاقا من حسن الكلام، والتّأدّب فيه، فالتّحاور والتّواصل تتبني أساسا على مبدأ التّفاعل. وهي مبادئ تواصليّة تهذيبيّة وأخرى تعامليّة كمبدأ التّعاون مثلا لكنّها تخضع لترتيب تفاضليّ حسب درجتها في تحسين أداء الأفعال الكلاميّة. ويفضل مبدأ التأدّب عن مبدأ التّعاون في أنّه يعتبر أرضيّة خصبة للجانب التّهذيبيّ، ومبدأ التّواجه يفضل مبدأ التّأدب بتعرّضه لعنصر العمل من الجانب التّهذيبيّ، أمّا مبدأ التّأدّب الأقصى يقف على وظيفة التّقرّب من

[1] سميّة حيدة، باقوم كلثوم، نظريّة أفعال الكلام بين التّراث العربيّ والمناهج الحديثة، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربيّ، تخصّص تعليميّة اللّغة العربيّة، جامعة أحمد دراية، أدرار 2017/2016. ص 47.

[2] المرجع نفسه الصّفحة نفسها.

[3] نفسه، الصّفحة نفسها.

الغير الّتي يؤدّيها العمل. أمّا مبدأ التّصديق يفضل مبدأ التّأدّب الأقصى لأنّه يقوم على التّقرّب من الغير عن طريق شرط الصّدق والإخلاص.

الفصل الثّانيّ: قواعد مبدأ التّأدّب بين الالتزام والخرق في رواية ضباب آخر النّهار.

المبحث الأوّل: نماذج عن الالتزام بقواعد مبدأ التّأدّب

المبحث الثّاني: نماذج عن خرق قواعد مبدأ التأدّب

جاء البحث بعنوان: مبدأ التّأدّب بين الالتزام والخرق في رواية ضباب آخر النّهار - دراسة تداوليّة- للرّوائيّ الجزائريّ مصطفى ولد يوسف، لتطبيق مبدأ التّأدب عليها والكشف عن مكمن ضبط الأخلاق وتهذيبها، إضافة الصّدق واللّباقة فيها، على اعتبار أنّ هذا المبدأ في أصله يدعو إلى الفضائل الاجتماعيّة والشّيم الكريمة.

كما أشرنا في ثنايا البحث، فإنّ هذا المبدأ جاء ليسدّ الثّغرة الموجودة في عمليّة التّخاطب، وضبط بعض الأخلاقيّات الأساسيّة أثناء الحديث. وكون الرّواية كأي مدوّنة تواصليّة تسعى إلى تبليغ المقاصد المختلفة عن طريق الحوارات، وهذا المبرّر الرّئيس الّذي يسمح لنا بتنزيلها إلى أرض الواقع وجعلها مناسبة لتطبيق التّداوليّة عليها، ومبدأ التأدّب على وجه الخصوص، إضافة إلى أنّ الحوارات قد شغلت حيّزا كبيرا في الرّواية وهذا جعلها مناسبة تماما للتّطبيق.

1- تقديم الرّواية:

صدرت رواية " ضباب آخر النّهار" للرّوائيّ مصطفى ولد يوسف في طبعتها الأولى عن دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع في مدينة تيزي وزّو سنة 2018. وقد كتبت في صفحات متوسّطة الحجم، حيث جاءت في مائة وأربعة وأربعين صفحة، وقسّمها الرّوائيّ إلى 28 جزءا، وكلّ جزء خصّص للحديث عن قصّة ما.

بدأها الرّوائيّ بقصّة التّلميذ الّذي التحق بالمدرسة للمرّة الأولى، وكان ذلك عام 1970م، وقد كان هذا التّلميذ قد حمل معه ترسّبات قد أدخلها له والده في ذهنه، منها ماهو حقيقيّ ومنها ماهو خياليّ. وقد جاء ذلك ممزوجا بمختلف الانطباعات الّتي تركتها تلك التّصوّرات في ذهن التّلميذ.

بعد ذلك انتقل الرّوائيّ إلى عرض قصّة أخرى جاء مضمونها حول جدّ كمال المتوفي غدرا، والمدعو" سي صالح"، إضافة إلى أحلام التّلميذ في أن يصبح معلّما، والّتي كانت الحافز الّي يدفعه أن يكون تلميذا مجتهدا في دراسته، ويصل إلى مبتغاه. وبعد ذلك يعود بنا الرّوائيّ إلى قصّة "سي صالح" مضيفا بعض الشّخصيّات ليزيد بعض التّشويق في الرّواية.

سارت أحداث الرّواية وكان كلّ التّركيز منصبّا على شخصية" كمال" الّذي يحلم في الحصول على منصب عمل في إحدى كبريات الشّركات في الجزائر وهي: شركة سونطراك، ليشير بعد ذلك إلى الغشّ الذي يمارسه المسؤول.

وما تنامي أحداث الرّواية، نجد أنّ كلّ قصّة مرتبطة بالقصّة الّتي قبلها، فكلّها مترابطة مع بعضها ليكون العمل الفنّيّ قد بلغ مستواه في أواخر صفحات الرّواية عندما استفاقت الشّخصيّة الرّئيسيّة من أحلامها، وتصوّرات مغروسة في ذهنه والّتي كانت في أصلها غير موجودة، حيث كان سجين تخيّلاته، وكان مربط بأصفاد الماضي، كما اصطدم بواقع تبيّن له أنّه مجرّد مهاجر، وأنّ حياته لم تكن سوى ركضا وراء أحلام لا يمكن تحقيقها، والّتي اتّضحت أنّها مجرّد أوهام ليس إلّا، دون أن يحتسب للزّمن الّذي أطلق سهمه ولم يصب الهدف.

في الحقيقة هذه الرّواية يمكن اعتبارها متخيّل في متخيّل آخر، إذ سارت على ثلاث مراحل، جاءت الأولى عبارة عن تخيّلات الشّخصيّة الرّئيسيّة، ثمّ في لحظة ما استفاق ليعبّر عن شخصيّته الحقيقيّة وهي شخصيّته كروائيّ، ثمّ يعود إلى عالم متخيّل.

2- مبدأ التّأدّب بين الخرق والالتزام في الرّواية:

إنّ المتمعّن في متن الرّواية يلحظ أنّ شخصيّاتها كانت في الغالب على درجتين فإمّا بالالتزام أو الخرق، على الرّغم من أنّها تعاني من شقاء في الحياة إلّا أنّها حافظت على مبدأ التّأدّب في مواضع كثيرة.

فللنظر في حركة هذا المبدأ من خلال القواعد المتفرّعة عنه حتّى نتثبّت كيفيّة تطبيقها من لدن شخصيّات الرّواية.

المبحث الأوّل: نماذج عن الالتزام بالقواعد:

1- قاعدة التّشكيك أو التّخيير:

مفاد هذه القاعدة:« افسح مجال الخيار لمخاطبك.»[1]

ومن ذلك ما يظهر في الحوار الّذي دار بين "أرزقي" و " سي صالح":

«- تعرفني أنّي وفيّ لك وأحبّ لغيري ما أحبّ لنفسي والكلام طفح وزاد عفونة.

- عفونة؟!!

- في شرفك!

- شرفي، توقّف، فأنا أشرف الجميع وتعلم ذلك.

- شرفك مصون، لكن الإشاعة لوّثته، يا صديقي.

- أيّة إشاعة؟!

- تقول الإشاعة أنّ" الرّوميّة" غير مخلصة لك.

- هراء وألف هراء، إنّها الغيرة يا صديقي...»[2]

نلاحظ أنّ "أرزقي" قد قام بمراعاة مبدأ التّأدّب والتزم به في قاعدته التّخيير، والّتي تقتضي أن يجعل المتكلّم مخاطبه يشعر أنّه أمام جملة من الإمكانيّات، لا أمام إمكانيّة واحدة دون سواها، وهذا ما فعله" أرزقي" أثناء حديثه عن خيانة زوجة " سي صالح" فهو لم يعمد إلى القول المباشر بأنّها خائنة، بل حكى له ما يجري، ليبقى الاختيار في التّصديق من عدمه لسي صالح.

كما تمّ الالتزام أيضا بهذه القاعدة في الحوار التّاليّ:

[1] طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان، ص241.

[2] مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النّهار، ط1، دار الأمل للطّبع والنّشر والتّوزيع، تيزي وزّو2018.ص 11.

«- والآن عليك أن تخمد ولا تحشر نفسك في أمور أكبر منك، هذه نصيحتي لك، فالكلّ يعلم والضّحيّة القادمة" رفيق"

- ماذا سيصنعون به؟

- سيلحق بها بنزلة برد قاتلة فشتاء هذا العام قارس جدّا.»[1]

في المقطع الأوّل من الحوار تمّ تقديم النّصيحة بأسلوب غير ملحّ تجعل المخاطب في موقف يسمح له بالاختيار بين الأخذ بها أو تركها.

2- قاعدة التّودّد:

يتمثّل فحوى هذه القاعدة في الشّرط التّاليّ:« اجعل مخاطبك يشعر بالرّاحة والطّمأنينة، وأظهر ودّك للمخاطب وتعاطفك معه.»[2]

يمكن أن نبيّن هذا الشّرط في المحادثة التّعارفيّة الآتية، والّتي توزّعت فيها أدوار الكلام، وتجاذبت أطراف الحديث بين " منير" و" كمال":

«كلّما استغرق في تأمّل هذا الغريب الّذي أمامه يتململ، ولا يدري ماذا يقول، بينما أحسّ منير بأنّ صديقه غير طبيعيّ وقد استبدّ به القلق:

- كيف الحال؟

- إنّي بخير، نعم بخير.

-إنّها تمطر بغزارة.

- تتورّد وجنة الأرض بهذا الغيث بعد شحوبها.»[3]

نستنتج من خلال هذا الكلام الّذي دار بين المتكلّمين، نستنتج أنهما قد التزما بمبدأ التّأدّب عموما وقاعدة التّودّد خاصّة، إذ أظهرا لبعضهما الاحترام والودّ.

---

[1] مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النّهار، ص ص19،20.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، ص 100.

[3] مصطفى ولد يوسف، المصدر نفسه، ص 68.

تستمرّ شخصيّات الرّواية في الالتزام بهذه القاعدة ، ويظهر ذلك جليّا في المثال الّذي سنقدّمه، والّذي جاء على لسان فريد قائلا لزوجته الرّوميّة:

« - **لقد أحببتك منذ الصّغر، ولم أبال بالحيّة الّتي سكنتك... أحببت المرأة ولمّا تركت البيت بحثت عنك في كلّ مكان.**»[1]

وفي موضع آخر التزم الأستاذ بقاعدة التّودّد أيضا حين كان يخاطب أب التّلميذ قائلا:

« - **أصارحك.**

-تفضّل، تفضّل.

- لا أدري كيف وصل إلى السّنة الرّابعة، فهو ضعيف ولا أمل في أن ستحسّن في المستقبل المنظور.»[2]

يتبيّن من هذا الكلام أنّ الأستاذ مارس ضربا من التّأدّب لأنّه لم يشأ أن يفرض رأيه على أب التّلميذ، ولكي يجعله مطمئنّا ومرتاحا من البداية حرص أن يتودّد إليه.

من خلال ما أورده الرّوائيّ عن الحديث الّذي جرى بين شخصين إثنين نجد:

« - **أعرّفك بنفسي، أنا "وليد" رئيس مصلحة الصّيانة.**

- **تشرّفت بلقائك.**»[3]

نستنتج أنّ المتكلّم والمخاطب التزما بقاعدة التّودّد في سير محادثتهما التّعارفيّة.

لدينا حوار آخر ورد كالتّاليّ:

« - ...**ويدّ لم تهدأ على جذب قميصه الأزرق الّذي اشتراه أبوه من حانوت" سي طاهر" مع السّروال الأسود الضّيّق، بعدما باع خروف العيد، فأغضب الجميع إلّا**

[1] مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النّهار، ص 50.

[2] المصدر نفسه، ص 118.

[3] نفسه، ص 76.

جدّته الّتي فرحت به: تلبس وتزيد يا عزيزي.»[1]

يبدو من خلال هذا الحوار أنّ الجدّة حاولت أن تتودّد إلى حفيدها من خلال الكلام الّذي وجّهته إليه مصحوبا بعبارة " عزيزي" الّتي كانت بمثابة مؤشر على تودّدها وتأدّبها معه، بغرض تقوية علاقتها التّضامنيّة بينهما، حيث إنّ هذه المؤشّرات القوليّة:« تجسّد مبدأ التّأدّب الّذي يريده المتكلّم مع مخاطبه، فهي ضمان لتحقيق قصد قوله وإنجازيّته.»[2]

ورد في الرّواية هذا الحوار الّذي جاء كالتّاليّ:

«بمرور الوقت لا يفكّر في دروسه بقدر ما كان يفكّر في أكذوبة أمام دائن بدا عليه الوقار فقال له:

-ما اسمك؟

- كمال.

- لي ولد في سنّك ولكنّه لا يملك ذكاءك وفطنتك.»[3]

إذا تمعّنا جيّدا في هذا الكلام، سيظهر لنا وبصورة واضحة أنّ المتكلّم حاول جاهدا الالتزام بمبدأ التّأدّب في قاعدته التّودّد الّتي تقوّي علاقة التّضامن بين المتكلّم والمخاطب:« ولكي تؤتى هذه القاعدة أكلها يجب أن يكون المتكلّم أعلى مرتبة من المخاطب.»[4] وهنا سبب سعيه للتودّد بغرض إيصال قصد وهو: أنّه على علم بكذبه، وربّما يحاول استدراجه عن طريق إستراتيجيّة التودّد.

3-قاعدة الاستحسان:

[1] مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النّهار، ص6

[2] عبد الحليم عيسى، تداوليّة مبدأ التّأدّب في إنجازيّة الفعل الكلاميّ، المجلّة الجزائريّة للدّراسات الإنسانيّة، المجلّد 1، العدد 1، الجزائر2019. ص ص206، 207.

[3] مصطفى ولد يوسف، المصدر نفسه، ص23.

[4]عمر بوقمرة، قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرّحمن، ص 48.

تتجلّى قاعدة الاستحسان في التأدّب الأقصى أو اللّطف، ونجد هذه القاعدة في هذا الحوار الّذي جمع بين الأستاذ والتّلميذ:

« - أفهمت الدّرس يا بنيّ؟ هل هل...؟

-شكرا، شكرا...

- ممتاز. طوبي لك ولأمثالك.»[1]

عندما نقف عند كلام الأستاذ في هذا الحوار، نلاحظ أنّه حاول جاهدا مدح التّلميذ في قوله الأخير، وهذا مطابق تماما لقاعدة الاستحسان.

المبحث الثّانيّ: نماذج عن خرق قواعد مبدأ التّأدّب:

1- قاعدة التّعفّف:

لنستذكر فحوى هذه القاعدة الّتي تنصّ على ما يلي:" لا تفرض نفسك على الآخرين ولا تفرض شيئا على المخاطب." ولمزيد من التّدقيق في مضمون القاعدة، يمكن أن ننظر ننظر إلى الحوار التّاليّ، والّي دار بين الرّوميّة وأخت زوجها:

« للتّوّ أسرعت إلى بيت أخيها فوجدت الرّوميّة تحضر طعام الكسكسيّ.

- آه أنت مرّة أخرى؟!

- هذا بيت أخي وأراوده كما أشاء، فأين هو؟

- لست أدري ربّما في الحقل يقلم الأشجار أو جالس على الحصير يداعب العصافير... اقترب منها، والصّفرة غطّت حمرة وجنتيها.

- يا مخلوقة.

- نعم هل من خدمة؟

[1] مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النّهار، ص50.

- ماذا تصنعين في بيت أبيك المرحوم؟

- ما شأنك يا...؟!!»[1]

يتبيّن لنا من خلال هذا الحوار أنّ " الرّوميّة" قد خرقت مبدأ التّأدّب، لأنّها أقحمت نفسها في شؤون العمّة، وفي هذا خرق واضح لقاعدة التّعفّف، فالأجدر حسب هذه القاعدة عدم الإقحام في الشّؤون الخاصّة إلّا بالاستئذان أوّلا ثمّ الاعتذار بعد ذلك. ومايجعلنا نبرّر سبب إسقاط هذه القاعدة هو اعتبار الرّوميّة نفسها جزءا من العائلة وما يخصّ زوجها يخصّها أيضا، لهذا منحت لنفسها حق التّدخّل.

يظهر الخرق أيضا في القاعدة نفسها في المحادثة التّاليّة، والتّي دارت بين " البوجالي" وأحد الحضور:

« **القاتل معروف وهو من دمه ويدّعي زورا." دا أحسن"**

-...ها هو يدفن ضحيّته صائحا.

- ستنتقم ولكلّ العائلة.

- أخ، أخ، كلّكم منافقون... بدل تجرّوا أمكم من الرّوميّ.

-تأكلوا بعضكم بعض، أخ، أخ، تفوه عليكم حلقييؤلمني من شدّة خزيكم.»[2]

من الواضح أنّ "البوجالي" قد خرق في هذا الحوار قاعدة التّعفّف، لأنّه لم يكن حريصا على حفظ ماء وجهه ول من خلال طريقة تصرّفه، واستعماله لكلمات مذلّة تقلّل من شأنه قبل أن تكون شتما لغيره.

وفي موضع آخر ورد خرق قاعدة التّعفّف من خلال الحوار الّذي دار بين تلميذ وزميله:

«- استدار نحوه سائلا.

[1] مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النّهار، ص ص 13، 14.

[2] المصدر نفسه، ص70.

-ماذا تريد؟!

- كيف أقول للمعلّم، بأنّي أريد أن أذهب إلى الحمّام؟

- قل له، قل،قل أيّ شيء، فأنا على وشك الانفجار.

-قل له أريد أن أذهب إلى الحمام بالقبائليّة.»[1]

إذا تأمّلنا هذا الحوار نجد أنّه قائم على خرق مبدأ التّعفّف في تشكيل الأفعال الكلاميّة غير المباشرة في الطّلب، إذ قد يوظّفها المتكلّم توظيفا تداوليّا تأدّبيّا تتوزّع بين جمل طلبيّة بأسلوب الأمر، وإن حدث الخرق فينتج عن ذلك معنى مستلزما يفهم من سياق الكلام.[2]

2- قاعدة التّودّد:

وفي حوار آخر دار بين كمال وزوجته، سنلاحظ أنّ الزّوجة بالرّغم من أنّها التزمت بمبدأ التّأدب في مضمونه العامّ، والّذي يقتضي أن" يتودّد المتكلّم إلى المخاطب" إلّا أنّها اخترقت قاعدة التّعفّف الّتي فحواها أن يتجنّب المتكلّم الإلحاح على المخاطب أو إكراهه على فعل ما، وهو عكس ما فعلته الزّوجة، حيث لم تمنح لزوجها هذه المسافة بينهما، إذ أجبرت زوجها على الذّهاب إلى العمل بالرّغم من أنّه لم يرد ذلك، حيث كانت مصرّة إلى حدّ ما في قولها:

« هيّا عزيزي، هيّا.

إلى أين؟

-إلى عملك.

- عملي.

---

[1] مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النّهار، ص6.

[2] حميد عبد الحمزة الفتليّ، مبدأ التّأدّب في عهد الإمام علي إلى مالك الأشتر، قراءة تداوليّة، ص131 http//www.almalima.net تاريخ الزّيارة: 15 جوان 2022. السّاعة21:40.

- المرض بانتظارك.

-المرض؟!! أأنا طبيب؟

- يا عزيزي الوقت داهمنا، ولابدّ أن تلتحق بالمستشفى...»[1]

وفي موضع آخر أسقطت فيه هذه القاعدة نجد هذا الحوار الّذي دار بين وهيبة وزوجها:

« **- حاولت بشتّى الطّرق لدفعه إلى العمل فأبى.**

- إذا لم يعجبك الحال، فالطّلاق بيننا.»[2]

عندما نقف على قول الزّوج نلاحظ أنّه لم يظهر الودّ لزوجته، فحدث خرق لمبدأ التّأدّب، خاصّة قاعدة التّودّد، بالرّغم من أنّ الزّوجة قد مارست نوعا من التّأدّب في كلامها.

3- قاعدة اللّباقة:

وما يلاحظ على الحوار السّابق"- **حاولت بشتّى الطّرق لدفعه إلى العمل فأبى.**

- إذا لم يعجبك الحال، فالطّلاق بيننا." خرقا واضحا من طرف المتكلّم والمستمع لقاعدة اللّباقة، الّتي تدعو إلى التّقليل من الكلام غير المؤدّب، ولكن نظرا لألفاظهما الموجّهة لبعضهما البعض قد تمّ خرق قاعدة اللّباقة.

لننظر إلى هذا المقطع المقتطف من الرّواية، والّذي هو عبارة عن حوار دار بين " القومي" و " الرّوميّة" جاء كالتّاليّ:

«- **أصحيح أنّك قبلت" بالطّبّاخ الحقير"**

-في الشّهر المقبل زفافي.

---

[1] مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النّهار، ص96.

[2] المصدر نفسه، ص50.

- لا أصدّق وماذا عن علاقتنا ومشروعنا؟!

- أيّة علاقة؟!

- سأفضحك وأجعلك رخيصة يا رخيصة.

- لست مستعدّة أن أتزوّج بالقتلة.»[1]

يبدو واضحا خرق قاعدة اللّباقة الّتي تنصّ على تقليل خسارة الغير، وتبيّن جليّا ذلك أنّ في قولهما معا، إذ اسقطا مبدأ التأدّب في عمومه.

4- قاعدة الاستحسان:

نلاحظ في هذا الحوار الّذي جرى بين العمّة والرّوميّة:

« - أأنت حامل؟ يا وخذي على ابني؟!

-عقباك، طبعا بعد زواجك إن كان هناك زواج بالمرّة!

- يا لك من حقيرة.»[2]

نلاحظ من خلال كلامهما أنّه تم خرق قاعدة الاستحسان، وذلك عن طريق الخروج عن شرط التّقليل من ذمّ الطّرف الآخر.

واعتمد حوار الشّرطيّ والشّخص الّذي شبّه بالمهاجر على نفس إستراتيجيّة خرق قاعدة الاستحسان:

« - ياو..أنا الحقيقيّ من لحم ودم، وأنت الافتراضيّ من صورة، فلا تثر أعصابي.

- انظر يا وقح لقد حملت معك الذّباب.

- أنا وقح.

[1] مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النّهار، ص 73.

[2] المصدر نفسه، ص 14.

- ارتكبت جنحة في حقّي وحقّ المدينة الّتي لوّثت هدوءها وارتكبت جريمة في حقّ الجميع باتّهامي بأنّي مجرّد صورة.»[1]

المبحث الخامس: قاعدة اللّباقة:

لدينا أيضا هذا الحوار بين " الشّيخ ناصر" و أحد الجالسين معه، ويقول فيه:

«- لن أتزوّج إلّا من امرأة دون الأربعين، فماذا أصنع بالعجائز الجافات القبيحات؟

-أريد امرأة هيفاء، مرحة، تحبّ الحياة مثلي, فيردّ عليه أحد الجالسين معه ساخرا:

- ولكنّك لم تعد كما كنت، ولا تقدر على إشباعها!! نطّ من مكانه ماضيا

- أنافحل، مازلت قادرا على العطاء!!

- أخشى أن تخونك، وهي معذورة في هذه الحالة ضاحكا.

- سأقتلها وأقتل عشيقها، وأقتلكم جميعا.»[2]

لم يراع الشّيخ مبدأ التّأدّب ولا لقواعده المتفرّعة عنه، إذ يفتقر كلامه لبعض الشّروط التّهذيبيّة التّأديبيّة، وفي الخطاب لم تظهر حتّى الرّغبة في التّعاون أو التّفاهم بينهما، ولم يظهر الشّيخ أيضا الرّغبة الصّريحة في ذلك، حتّى إنّه في الأخير مارس ضربا من التّهديد على مخاطبه، إذ صرّح بقتل المرأة وعشيقها وقتل الجميع إن حدث وأن قامت بخيانته. وفي كلامه – هذا- تصريح دون تلميح أو تعديل فيه.

وفي المقابل نجد أنّ مخاطبه شديد الذّكاء، فقد اختار إستراتيجيّة في تهدئة الشّيخ، حيث قام بتلطيف النّقاش، وتحميله على الإقناع ونيل رضاه، ويظهر ذلك في قوله:

«- يا عمّي ناصر عد إلى رشدك، واكتف بالّتي تكون بجانبك معينة، ولا تغضب كثيرا،

[1] مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النّهار ، ص 125.

[2] المصدر نفسه، ص ص60، 61.

فقد تموت بيننا ونخسرك إلى الأبد، فأنت مرحُ مجلسنا.»[1]

يعدّ هذا الحوار من الحوارات الّتي مزجت بين الخرق والالتزام، فالمتكلّم قد خرق أحد قواعد التّأدّب وبالغ في كلامه أمّا المستمع بدوره قد لجأ إلى استخدام إستراتيجيّة تعديل الكلام متّخذا بعضا من قواعد مبدأ التّأدّب تجنّبا لتشنّج الحديث.

هكذا يتبيّن لنا أنّ الشّخصيّات في الرّواية تارة كانت ملتزمة بمبدأ التّأدّب، وتارة أخرى مخترقة له، ويظهر ذلك بصور وأشكال مختلفة، لاسيما عندما نجد أنّ هذا المبدأ يمكنه أن يشكّل إذا ما تمّ تطبيقه على أتمّ وجه، في بعض الحوارات سدّا حائلا دون الإفصاح عن مقاصدها الصّريحة، أو المضمرة.

لدينا هذا الحوار بين كمال وزوجته:

«- إنّها على مقاسي عجيب؟!!

- لماذا تنظر إليّ بهذا الشّكل؟!!

- وجهك لم يعد كما كان؟!!

- وأنت لم تع كما كنت، فالزّمن افترس تجاعيده علينا، فغادر الجمال إلى غير رجعة.»[2]

اتّبع المتكلّم في هذا الحوار الإستراتيجيّة الصّريحة، الّتي تعتبر الأسلوب الأقلّ لباقة من بين إستراتيجيّات هذا المبدأ، فالصد صريح وبشكل مباشر.[3] ففي هذا الموقف توجّب على المتكلّم أن يختار أسلوب التّلميح لأنّ الأسلوب الصّريح بهذا الشّكل قد يسبّب إحراجا للمخاطب.

---

[1] مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النّهار، ص79.

[2] المصدر نفسه، ص 96.

[3] ينظر: عبد العزيز صابر عبد العزيز، التّصريح والتّلميح في الخطاب السّياسيّ المصريّ المعاصر، دراسة تداوليّة، بيانات مبارك إبّان ثورة يناير نموذجا، ج2، مجلّة الدّراسات العربيّة، المجلّد 37، ص4034.

كما قد يلجأ المحاور في كلامه إلى التّهديد الممزوج بالأمر ويصرّح بذلك مباشرة، ما يتسبّب في تهديد وجهه الدّافع، وهذا ما يتطابق مع إستراتيجيّة التّصريح عن التّهديد الّتي تقتضي:« التّصريح بالقول المهدّد من دون تعديل فيه.»[1]

لنتمعّن في هذا الحوار:

«- ... **خرج منهما رجلان ضخمان ومرعبان قال أحدهم بنبرة قاسية**:

-**هيّا معنا اركب**.

- **اجلس، اجلس، ولا تتحرّك**.»[2]

إنّ الأفعال الأمريّة الواردة في نهاية الحوار تؤكّد على فكرة التّهديد السّابقة.

[1] ليلى كادة، الاستلزام الحواريّ في الدّرس اللّسانيّ الحديث، طه عبد الرّحمن أنموذجا مجلّة الممارسات اللّغويّة، المجلّد 3، العدد3، الجزائر2012.ص178.

[2] مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النّهار، ص 67.

خاتمة

لعلّ أهمّ شيء نكون قد توصّلنا إليه من هذا البحث، هو أنّ قضيّة التّأدّب ليست وليدة العصر الحديث، بل هي متأصّلة في التّراث اللّغويّ لدى العديد من الدّارسين الّذين وضعوا ضوابط الكلام حتى يكون مطابقا للغرض المقصود. وقد وصلنا بعد البحث في قضايا الموضوع إلى مجموعة من النّتائج، وهي كالتّاليّ:

1- وضعت هذه المبادئ لكي ترتقي بالإنسان إلى السّلوك الجيّد أثناء ممارسة الكلام، ويتحقّق ذلك عن طريق حسن الكلام؛ بمعنى حسن القول والفعل.

2- كان لمبدأ التّعاون لغرايس الفضل الكبير في فتح باب تطوير جانب من جوانب التّواصل الإنسانيّ.

3- مبدأ التّواجه أسبق من مبدأ التّأدّب بتعرّضه لعنصر العمل من الجانب التّهذيبيّ، حيث افتقر إلى مفهوم العمل الّذي يهدف إلى تقويم السّلوك وتوجيهه وجهة حسنة، إذ لا نجد لدى لاكوف شيئا يذكر عن الوظيفة العمليّة، ولكن بعض القواعد مبدأ التّأدّب تتّفق مع مبدأ التّعاون، وبعضها يناقضه، فقاعدة التّعفّف تهدف إلى إنتاج الخطاب بشكل واضح، في حين قاعدتي التودّد والتّخيير تسيران في اتّجاه معاكس بخرق تلك القواعد.

4- مبدأ التّأدّب الأقصى يفضل مبدأ التّواجه، لوقوفه على وظيفة التّقرّب من الغير الّتي يؤديها العمل، فهو يركّز على الجانب العمليّ لأحد عناصر التّخاطب وهو التّهذيب، ناهيك عن أخذه بعنصر التّبليغ، لذلك اشتغل على مفهوم الوجه بعدّه المقصد والإستراتيجيّة بعد الوسيلة، حيث إنّ الخطط الّتي تقوم بدور الوسائل وعند الملاحظة رأينا أنّ المبادئ الخمس بعضها يقترب من مبدأ التّعاون وبعضها من مبدأ التّأدّب.

5- بدت قواعد التّأدّب سواء بالالتزام بها أو بخرقها متضافرة لتشكّل خطابا إقناعيّا، أنجزه المتكلّمون بغية تحقيق هدفهم وهو الإجابة عن معظم التّساؤلات الّتي طرحتها. وقد قدّمت ذلك بمختلف الوسائل التّعبيريّة منها ما يرجّح قوّة العقل ومنها ما يرجّح العاطفة.

6- بما أنّ الخطاب الّذي اشتغلنا عليه هو خطاب أدبيّ تختفي فيه المقاصد خلف المعاني المباشرة إلّا أنّ خرق مبدأ التّأدّب في كثير من المواضع أنتج نوعا من

المراوغة والخداع الأدبيّ أو الزّيف الأدبيّ – إن صحّ التّعبير- والعمل على دفع المتلقّي إلى إعمال عقله وترجيح المقاصد وفق السّياقات المختلفة الّتي وردت فيه لتشكّل في الأخير القصد الكلّي.

7- بالرّغم من كثرة الخرق الّذي حدث على مستوى المبدأ بمختلف قواعده إلّا أنّ سيرورة الحوارات لم تنقطع بل سعت إلى مدّ جسور التّواصل بين المتكلّمين وفق معارفهم المشتركة، والقدرات الّتي يفترضها المتكلّم مسبقا عن مخاطبه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

- أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، ط1، تحقيق: يوسف الشّيخ محمّد،عالم الكتب، القاهرة2008.

- الماورديّ أبو حسن، أدب الدّنيا والدّين، تحقيق: مصطفى السّقا، ط1، دار الفكر، القاهرة دت.

- جمال الدّين أبو الفضل بن منظور، ط1، دار صادر، بيروت1997.

- عبد القادر الرّازيّ، مختار الصّحاح، ج1، مكتبة لبنان، بيروت1986.

- مصطفى ولد يوسف، ضباب آخر النّهار، ط1، دار الأمل للطّبع والنّشر والتّوزيع، تيزي وزّو2018.

2- المراجع:

- أحمد السّايب، أصول النّقد الأدبيّ، ط10، مكتبة النّهضة المصريّة، مصر 1990.

-بشرى البستانيّ، التّداوليّة في البحث اللّغويّ والنّقديّ، ط1، مؤسّسة السيّاب للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، لندن2012.

- سعد البازعي، ميجان الرّويليّ، دليل النّاقد الأدبيّ، ط3، المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب2002.

- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّصّ،دط، عالم المعرفة، الكويت1990.

-طه عبد الرّحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط1، المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب2000.

- طه عبد الرّحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقليّ،ط1، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء 1998.

- عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ،استراتيجيّات الخطاب، مقاربة تداوليّة لغويّة، ط1، دار الكتب المتّحدة، بيروت دت.

- محمّد الشّيبانيّ، سيف الدّين دغفوس، المنطق والمحادثة، إطلالات على النّظريات اللّسانيّة والدّلاليّة في النّصف الثّانيّ من القرن العشرين، الجزء2، ط1، مختارات معرّبة،

المجمع التّونسيّ للعلوم والآداب والفنون" بيت الحكمة"، تونس2012.
- مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة " الأفعال الكلاميّة" في التّراث اللّسانيّ العربيّ، ط1، دار الطّليعة، بيروت2005.

-نعمان بوقرة، المدارس اللّسانيّة العاصرة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة 2004.

3- الكتب المترجمة:

- آن روبول، جاك موشلار، التّداوليّة اليوم علم جديد للتّواصل، ترجمة: سيف الدّين دغفوس، محمّد الشّيبانيّ، ط1، المنظّمة العربيّة للتّرجمة، لبنان2003.
- آن روبول، جاك موشلار، القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، ترجمة: مجموعة من الأساتذة، إشراف: عز الدّين المجدوب، دط، دار سيناترا، تونس2010.

- جون أوستين، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنيني، دط، إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء1991.
-فرانسوازأرمينيكو، المقاربة التّداوليّة، ترجمة: سعيد علّوش، دط، مركز الإنماء القوميّ، دب دت.
- فيليب بلانشيه، التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن 2012.

4-الكتب باللّغة الأجنبيّة:

-John Austin, quand dire c’est faire, édition du Seuil, France1970.
-John searle, sens et expression(étude des actes de langage) édition Minuit, Paris1979.

5- المقالات والمجلّات:

- أحمد شكيب بكري، التّداوليّة في الدّرس اللّسانيّ، مجلّة الأثر، العدد 32، ديسمبر 2019.
- آمنة بلّعلى، المنطق التّداوليّ عند طه عبد الرّحمن وتطبيقاته، مجلّة اللّغة والأدب، العدد1، المجلّد 11، الجزائر2006.

- بول غرايس، المنطق والمحادثة، ترجمة: محمّد الشّيبانيّ وسيف الدّين دغفوس، مجلّة السّيميائيّات، دوريّة محكّمة تصدر عن مخبر السّيميائيّات وتحليل الخطاب، العدد1، السّنة الأولى، جامعة وهران2005.

- راضية خفيف بوبكري، التّداوليّة وتحليل الخطاب الأدبيّ، مقاربة نظريّة، مجلّة الموقف الأدبيّ، مجلّة شهريّة، العدد 399، دمشق2004.

- سميّة عامر، الاستلزام الحواريّ عند بول غرايس، المفهوم والمقوّمات، مجلّة القارئ للدّراسات الأدبيّة والنّقديّة واللّغويّة، المجلّد 2، العدد3، 2019.

-عبد العزيز صابر عبد العزيز، التّصريح والتّلميح في الخطاب السّياسيّ المصريّ المعاصر، دراسة تداوليّة، بيانات مبارك إبّان ثورة يناير نموذجا، ج2، مجلّة الدّراسات العربيّة، المجلّد 37.

- عماد شعير،مبدأ التّأدّب في خطاب الرّئيس المصريّ محمّد أنور السادات في الكنيست الإسرائيليّ، مجلّة الخطاب، العدد 1، 2020.

- عمر بلخير، مقاصد الكلام وإستراتيجيّات الخطاب، أشغال الملتقى الدّوليّ الرّابع، العدد خاصّ، ج2.

- عمر بوقمرة، قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرّحمن، دراسة نقديّة، مجلّة أمارات في اللّغة العربيّة والأدب والنّقد، العدد 2، المجلّد 5، الجزائر2021.

-ليلى كادة، الاستلزام الحواريّ في الدّرس اللّسانيّ الحديث، طه عبد الرّحمن أنموذجا مجلّة الممارسات اللّغويّة، المجلّد 3، العدد3، الجزائر2012.

- مصطفى العادل، نقد الحداثة الغربيّة عند طه عبد الرّحمن من النّقد الفلسفيّ إلى النّقد اللّسانيّ، العددان 8، 9، شتاء وربيع 2020.

6- المواقع الإلكترونيّة:

- عبد الستّار الجامعيّ، مبدأ التّأدّب مبدأ خطابيّ، مجلّة الكلمة، العدد134، يونيو 2018. www.alkalimah.netتاريخ زيارة الموقع: 2022/6/9 السّاعة 17:47.

-حميد عبد الحمزة الفتليّ، مبدأ التّأدّب في عهد الإمام علي إلى مالك الأشتر، قراءة تداوليّة، ص131 http//www.almalima.net تاريخ الزّيارة: 15 جوان 2022. السّاعة21:40.

7- المذكّرات الجامعيّة:

- سميّة حيدة، باقوم كلثوم، نظريّة أفعال الكلام بين التّراث العربيّ والمناهج الحديثة، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربيّ، تخصّص تعليميّة اللّغة العربيّة، جامعة أحمد دراية، أدرار 2017/2016.

- عبد الباقي كريمة، الاستلزام الحواريّ في الحديث النّبويّ الشّريف، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربيّ،تخصّص لسانيّات وتحليل الخطاب، جامعة عبد الحميد بن باديس، قسم الدّراسات اللّغويّة، مستغانم2017/2016.

فهرس الموضوعات

إهداء

مقدّمة.....أ- ب

تمهيد:ماهية التّداوليّة.....4-8

الفصل الأوّل:مفهوم التّأدّب 10-25

المبحث الأوّل: مفهوم التّأدّب لغة واصطلاحا.....10-11

المبحث الثّانيّ: مفهوم التّأدّب من المنظور التّداوليّ.....11-12

1 مبدأ التّأدّب عند روبين لاكوف.....13-15

2-مبدأ التّواجه عند براون وليفينسون.....15-19

3- مبدأ التّأدّب الأقصى عند ليتش.....19-21

4- مبدأ التّصديق عند طه عبد الرّحمن.....21-25

الفصل الثّانيّ: قواعد مبدأ التّأدّب بين الالتزام والخرق في رواية ضباب آخر النّهار.....27-40

- **تقديم المدونة**:.....27-28

المبحث الأوّل: نماذج عن الالتزام.....29-33

المبحث الثّانيّ: نماذج عن الخرق.....33-40

خاتمة:.....42-43

قائمة المصادر والمراجع:.....45-48

فهرس الموضوعات:.....50